السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتر اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث عشر

في سحر الكران

اين انا وكم الساعة الآن... ان ساعتي واقفة... آه ان العرق البارد يتصبب من جبيني... ما هذه الموائد (الطاولات) والاقداح... ومن اين الدواة والقلم ولماذا جيء بها.... نعم قد تذكرتُ الآن فقد كنا في الامس بهذه الغرفة جالسين بازاء هذه المائدة وجهاً الى وجه وكان نسيب يحدثني. لكن ماذا كان يقول لي؟.. وقد كان يناولني اقداحاً من الشراب... يناولنيها تباعاً... ثم انهُ طلب مني توقيع ورقة... ولكن ماذا كانت تتضمن هذه الورقة؟.. لقد قرأتها نعم قرأتها ويا للعجب كيف اني لا اتذكر منها شيئاً... وقد كان يلحُّ عليَّ لتوقيعها فوقعتها محمولاً على ذلك تارةً بوعودهِ وتارةً بمواعيدهِ... لقد تلاعب بي هذا الرديُّ وغشني. غير اني لا بدَّ ان أعلم ماذا كانت تتضمن هذه الورقة التي حملني على توقيعها

وكان فاضل في تلك الدقيقة يهيج ويغضب وترتجف يداهُ وهو يتمشى بسرعة في الغرفة متنقلاً من زاويةٍ الى اخرى. ثم انهُ جلس بجانب المائدة وأسند رأسهُ بيديهِ هنيهةً يتأمل. وما كان غير قليل حتى نهض يتمشى وحينئذٍ فُتح الباب بغتةً فاذا هو نسيب فهجم فاضل على الداخل قائلاً: آه يا شقي اين الورقة اين هي

— ما هي هذه الورقة التي تطالبني بها وما معنى اضطرابك هذا وما قصدك من هذا التهديد وهذه اللهجة المزَّة؟

— اذا كنت تريد ان تتنكر فاني لم انسَ شيئاً بل اتذكر كلَّ ما جرى

— هوّن عليك ولا تبالِ فما اظنّ الّا انَّ خمرة الامس ما برحت مؤثرة فيك. ومتى أفاق الانسان من رقادهِ بعد تكاثر الاحلام المزعجة والافكار المقلقة لا يقوى على التعقُّل وحسن الفهم

— انك تهينني وتتلاعب بي واعلم ان عقلي معي ولم اقل لك ما قلتهُ عبثاً فاسمع لي

— كيف اسمع لرجل فاقد العقل يهذي ويخلط وقد دنت الآن ساعة الذهاب الى العمل ؟

— تقول اني اهذي كلّا بل انك امس مساء بعد ان سقيتني كثيرا من اقداح الشراب حملتني على توقيع ورقة . وقد قرأتُ هذه الورقة

— اذا كنت قرأتها فأخبرني ماذا تتضمّن ؟

— ان افكاري غير صافية

— صفِّ افكارك ثم اخبرني

وعندها خرج نسيب وأغلق الباب بشدّة وبقي فاضل في الغرفة مبهوتًا متحيّرًا وقد وقعت عليه تلك الكلمات الاخيرة التي سمعها وقوع الماء البارد على الجسم الحارّ . فبعد ان وقف هنيهةً في الغرفة لا يتحرك من مكانه تاب اليه رشده وعاد يتمشى

ولمّا وضع يدهُ في جيبه شعر بالقطع الذهبيّة التي أعطيها في مساء الامس فسُرّي عنهُ بعض همّه وقال في نفسه ماذا يفيد اهمال التحقّق الاكيد والتثبّت بما ليس متيقنًا . . وماذا كانت تتضمن يا ترى تلك الورقة التي وقّعتها ؟ لا علم لي غير اني اصبحت في حالة حسنة وقد وعدوني بقدر ما أريد من الذهب وسيعطوني قطعةً من الارض خصوصيّة لاستخراج ما فيها من المعدن الثمين ولا شكّ اني سأصيب غنًى بل غنى واقرًا . آه لو كانت والدتي . . . ولكن لعلها رحلت من هذه الدنيا وقد اخفوا عني خبر موتها لئلّا تذهب بحياتي هذه الصدمة الهائلة . . . وماذا عسى ان يكون قد حلّ بشقيقتي . . . ألعلّها هي ايضًا . . .

وقد ثقلت هذه الافكار على فاضل فاستسلم للحزن الشديد الّا انهُ بينما كان على تلك الحال من الغمّ والهمّ فُتح الباب ثانيةً وسأل نسيبٌ فاضلًا

— هل سكن منك الغضب يا خواجا فاضل ؟

— قد كنت اتأمل

— اما رأيت انهُ كان من الأفيد لك ان تكون اقلّ حدّةً وسخطًا . امّا الآن وقد وعيت وعقلت فما بقي لك ألّا ان تصحبني فتحصّل معي المكاسب والارباح ولكن ينبغي ان تعدني بكتم السرّ كتمًا شديدًا غير منصفٍ وانت تعرف شروط العمل عندي

— وماذا تعطيني ؟

— اعطيك ذهباً كلما سألتني. غير اني في الوقت الحاضر قد اعطيتك كفاية

— لقد وعدتني بقطعة ارض استغلها لحسابي

— حسنٌ فاتبعني ولكن التزم السكوت واياك ان تنطق بكلمة عمّا مضى بل كن أخرس اصمّ كدافن الاموات

— ها انا تابع لك وساعمل بكل ما تقول وتطلب

الفصل الرابع عشر

في قتل نسيب

وفي غد ذلك اليوم اذ كان الجوّ وقتئذٍ صافياً واديم السماء ازرق الى الشهبة والارض مبلّلة بسبب ذوبان الثلوج. اسرع نسيب وفاضل وابعدا عن مدينة داڤرن ذاهبين الى الاراضي الذهبيّة التي كان ابتاعها الاول بثمنٍ غالٍ في محل بعيد عن المدينة وسببهُ ان كل الاراضي القريبة كانت مشتراة

ومن شرائط التعدين في تلك الارض انّ المعدّن اذا اختار قطعةً لاجل استغلالها يجب عليهِ ان يستحصل رخصةً من الحكومة ولا يكون ذلك بدون صعوبةٍ لان الحكومة تحتفظ بقطعة من كلّ قطعتين في الاراضي الذهبيّة وتستوفي مقابل الرخصة رسماً اولياً قدرهُ ١٢٥ فرنكاً ثم رسماً سنوياً قدرهُ ٥٠٠ فرنك. ثم ان القطعة المرخّص باستغلالها لا يتجاوز طولها ١٥٠ متراً اذا كانت واقعة على ضفاف نهر وثلاثين متراً مربّعاً اذا كانت في ارض اعتيادية. ويلزم ان تُقام عمدٌ على زواياها لاجل تحديدها ويُكتب عليها اسم مالكها وتاريخ امتلاكهِ. وكل قطعة يُترك العمل فيها اثنتين وسبعين ساعةً تُحسب مهملةً من مالكها فتعود على الحكومة

فبعد معاملات طويلة واتعاب جمة توصّل نسيب الى تحصيل الرخصة بامتلاك قطعة من الارض الذهبيّة باسم فاضل. وقد اخذهُ في اليوم السابق ذكرهُ لدلالتهِ عليها وابتدأ الشغل فيها طبقاً لما كان قد وعدهُ

ومذ ذاك اخذ فاضل يأتي كلّ يوم الى القطعة التي اشتراها لهُ نسيب غير انّهُ ما لبث ان زهد فيها تلمّاً لصعوبة العمل. ولا يخفى ان فاضلاً كان قد تعوّد في شيكاغو نوعاً آخر من المعيشة لانهُ كان يكتفي بألعاب البورصة فتتدفّق الدراهم بكثرة على صناديقهِ. نعم ان « پيترس لاضف » كان قد تعاطى صناعة البانع المتجوّل وذاق منها

مرارة عظيمة واتعاباً شاقة قبل ان يحصّل تلك الثروة الطائلة ولكن من شأن الانسان ان ينسى الاحوال الصعبة في حياته غير متذكر الّا ايّام الخير والسعادة. وعليه فكان فاضل يفتكر في حالته بمدينة شيكاغو ويقابل بينها وبين حالته في داقسون حيث يشتغل كعامل بسيط ويقضي نهاره في ضرب الارض بالمعول والتنقيب في تلك التربة المتجمّدة. وغير خافٍ انهُ لمّا كان قد نشأ في بلاد حارّة لم يكن قد اعتاد مناخ القطب الشمالي فضلاً عن ان القطعة التي يعدّنها لم يكن يستخرج منها بقدر ما كان يأمل فانها ما كانت تعطيه في يومه سوى خمسين دولاراً ومعلوم ان المرء متى حصل الغنى تشتدّ فيه رغبة الربح ولا يعود يقنع بالقليل

فلاجل هذا كان فاضل يخاصم على الدوام نسيباً ويشتمهُ ويلعن الساعة التي صاحبهُ فيها. وفي ذات مساء بلغ منهُ الغضب حدّهُ وعاد الى مأواهُ والشرر يتطاير من عينيه وما كان بعد ان ثارت في رأسه حميّا الخمرة الّا ان قام يشتم نسيباً ويسبّهُ واتصل الامر بالاثنين الى التلاكم

وبيان ذلك ان فاضلاً لمّا كان قد استخرج من الذهب في يومه ذاك اقلّ من العادة بكثير وجع محتدماً من الغيظ وعرّج في طريقه على خمّار في تلك الجهة. فبعد ان امتلأ من الشراب ودفع آخر ما معهُ من الفلوس توجّه الى حيث كان مقيماً وضرب الباب برجله ضربة قويّة ففتحهُ. فلمّا رآهُ نسيب خاطبهُ قائلاً: « ما الداعي الى هذا الغضب يا فاضل ؟ »

امّا فاضل فلم يجب ولكنهُ بعد ان اغلق الباب وراءهُ بقوّة قال: « اني محتاج الى دراهم »

— سأعطيك

— لا بدّ ان تعطيني الآن

— استهزأ بي ؟

— لا بل انت تهزأ بي من زمان مديد

— دع الغضب. ألا تعلم انك تخصّني وفي قبضة يدي ؟

— يا لك من شقي يجسر على امتهاني. ويا لك من كذوب شرير بعد ان كنت سارقاً وقاتلاً

— انك دائماً تقذفني بهذه الشتائم التي ملأت اذني سماعها

— أريد دراهم أسمعت ام لم تسمع ؟

— لن أعطيك فلساً

— اني آخذ الدراهم غصباً عنك والّا . . . بيّنت للناس اسمك وعرّفتهم بجرائمك

قال هذا وتماسك الاثنان وما كان كلمح البصر حتى انطرح احدهما على الارض يختبط بدماه وقال فاضل : قد شفيت منك الآن نفسي ايها القاتل

انتهى القسم الثالث (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

RAPPORT SUR UNE MISSION SCIENTIFIQUE EN TURQUIE D'ASIE
Recherches sur la Musique orientale.

بحث في الموسيقى الشرقية

par Dom J. Parisot, Paris, 1899, in-8, 250 pp.

توجهت خواطر الاوربيين الى الشرق فلم يتركوا من آدابه بابًا الّا ولجوه ومن فنونه مجتًا الّا خاضوا غمراته . ولمّا كان علم الانغام لديهم من الفنون الجميلة أحبوا ان يطّلعوا على موسيقى الشرقيين واصولها . فنهم من كتب في الموسيقى المدنيّة كالدكتور لَنْد وسلفادور دانيال . ومنهم من أولع بالموسيقى الكنسيّة وقابل بينها وبين الغناء المعروف بالغريغوري . والذين بحثوا عن خواصّ انغام الكنيسة اليونانيّة في زماننا اكثر من ان يُحصوا . وقد سمعنا ان حضرة الاب كوتورياه (Couturier) طبع لتلامذة مدرسة القديسة حنة مجموعاً من التراتيل الكنسيّة يتغنون بها في طقسهم اليوناني . واهتمّ الابوان اليسوعيّان بلين (Blin) وباده (Badet) بتدوين الالحان القبطيّة فطبعا منها انغام القداس الالهي . ومنذ سنتين احتلّ اصقاعنا حضرة الموسيقيّ الشهير الاب جانين (Jeannin) البنديكتي فدوّن بالعلامات الاوربيّة اكثر الحان الكنيستين السريانيّة والكلدانيّة . وفي تلك الاثناء كان نزل في كليّتنا ضيفاً كريماً حضرة الاب حنّا باريزو من رهبان ليكوجاه (Liguge) المنتمين الى القديس مبارك فجمع بايماز وزير العلوم والآداب في فرنسة ما تيسّر له من الحان الكنيسة المارونيّة اخذها عن مشاهير المغنّين